

# باب قول الله تعالى: أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ

نقرأ في كتاب التوحيد، اقرأ باب قوله تعالى: { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا } يمكن أنها الباب الثاني عشر أو الثالث عشر نعم { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا } . بسم الله الرحمن الرحيم باب: قول الله تعالى: { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ وَلَا يَسْتطِيعُونَ لَهُمْ تَصَرُّا } وقوله: { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ } وفي الصحيح عَنْ أَنَسٍ قَالَ: { شَجَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ أُحُدٍ وَكَسِيرَتْ رِجَالُهُ، فَقَالَ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوا بِنَبِيِّهِمْ؟ فَتَرَلْتُ: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } . فِيهِ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا { أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ: اللَّهُمَّ الْعَنْ فَلَانًا وَفَلَانًا، بَعْدَمَا يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ " فَأَتَرَلَّ اللَّهُ: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } . } وفي رواية: { يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمِّةٍ وَسَهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَتَرَلْتُ: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } . } وفيه عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: { قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ (أَوْ كَلِمَةً تَحْوَاهَا)! أَيُشْرِكُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَتَا قَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِيْنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أَعْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } . في هذا الباب عقده على هذه الآية، باب قول الله تعالى: { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ } الآية يدخل فيها كل المخلوقات، يعني كيف يجعلون لله شركاء، وأولئك الشركاء لا يملكون لأنفسهم شيئا، فضلا عن أن يملكوا لغيرهم؟ لا يخلقون شيئا؛ بل هم مخلوقون فكيف يجعلونهم شركاء لله تعالى في ملكه، وفي تصرفه؟ لا شك أن ذلك اعتراض وتنقص لله تعالى ورفع للمخلوق إلى رتبة الخالق، ودعاء له، مع الله سبحانه وتعالى فيدخل في ذلك الأنبياء والملائكة، فكلمهم لم يخلقوا شيئا، وكلهم مخلوقون، وكلهم لا يستطيعون نصر أنفسهم، وإنما يطلبون النصر من الله تعالى: { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ وَلَا يَسْتطِيعُونَ لَهُمْ تَصَرُّا } لا يستطيعون نصركم، ولا يستطيعون نصر أنفسهم، وإنما يحتاجون إلى الله، ويطلبون الله تعالى ويطلبون النصر منه؛ لقوله تعالى: { وَمَا تَنْصُرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } { إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ } . يدخل في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما في الآيات، ما صرح بمدلول الآية، أو بمراده بهذا الباب، بتقديره الذي قدره وأراد، أن يقول: باب بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه، ولا لغيره ضرا ولا نفعا، وإذا كان هكذا فكيف يطلب؟ وكيف يسأل؟ وإذا كانت هذه حاله فكيف بمن هو دونه؟ فإن الجميع كلهم لا يملكون شيئا، ولا يخلقون، وهم مخلوقون. ودل على ذلك أيضا من القرآن آيات كثيرة، منها قوله - تعالى - في سورة الأعراف: { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } يعني إلا ما شاءه الله لي، لا أملك لنفسي، إذا كان كذلك فكيف تدعونه أيها المشركون؟ وكيف تقولون أعطنا ونحو ذلك؟ يسمع كثير منهم يدعونه، ذكرنا أن بعضهم ينادونه بـ يا رسول الله، ونحو ذلك، في مرة ونحن خارجون من الحرم المكي كان عند الباب زحام شديد، فهناك ناس يدخلون، وآخرون يخرجون، فحصل زحام، سمعت واحدا صرخ بقوله: يا رسول الله، في هذه الحالة الحرجة، كأنه يقول: فرج عني يا رسول الله ما أنا فيه من الزحام، حيث إن هناك من يطوف، ومن يزعمه أمامه، ونسي أو غفل أن يقول: يا ربي أو يا الله. وكذلك أيضا سمع بعض الشباب وإحدا في نفس الحرم وهو قد انتهى من الطواف، وإذا هو يقول: مدد يا رسول الله هكذا؛ فعند ذلك أنكر عليه، وقرأ عليه قول الله تعالى: { وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } كثير منهم يدعون النبي - صلى الله عليه وسلم - ويدعون غيره من الأولياء، ومن عقيدة الرافضة التعلق على الخمسة الذي نظمها بعضهم بقوله: لي خمسة أطفي بهم نار الجحيم الحاطمة المصطفى والمجتبى وإناهما والفاطمة هؤلاء يعلقون عليهم أمالهم المصطفى والمجتبى - يعني الرسول - وعلي وإناهما الحسن والحسين وفاطمة فهؤلاء يدعونهم من دون الله، والوقائع كثيرة لمن لعل هؤلاء المشركين، فالله تعالى قال لنبيه: { قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا وَلَا رَشَدًا } لا أملك لكم كلمك صرًّا ولا رشدا { قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا } إن أردني الله بضر فلا يكشفه غيره، وإن أردني برحمة فلا يردها غيره: { إِنَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ } فإذا كان هو عليه السلام لا يملك لنفسه، فكيف يملك لغيره؟ وإذا كان كذلك فكيف بمن سواه؟! الآية الثانية: في سورة فاطر قول الله تعالى: { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ } القطمير: هو قشرة نواة التمر، إذا أخرجت النواة وجدت عليها قشرة رقيقة خفيفة تنفخها؛ فتطير، فهل هذه تسمى ملكا من ملكها؟ أي لا تملك هذه المعبودات كلها من قطمير - حبة أو مبيته - { إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ } يعني مهما صرختم ومهما ناديتهمهم: { وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ } لو قدر أنهم يسمعون - سواء كانوا أحياء أو أمواتا - ما استجابوا لكم: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ } يبرءون منكم ويقولون: { مَا كُنْتُمْ إِتَانًا يَعْبُدُونَ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنَّ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ } نحن في شأن وأنتم في شأن، تدعوننا ونحن أموات، ونحن غائبون عنكم. { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } لا يستجيبون لهم إلى يوم القيامة: { وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ } غافلون عنكم وعن دعائكم، أموات قد ماتوا، وقد انتقلوا إلى الدار الآخرة، أو إلى حساب الآخرة، مشغولون بأنفسهم، ولو كانوا أنبياء، ولو كانوا أولياء: { وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } فهكذا قوله: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ } يدخل في ذلك الأنبياء، والأولياء، والملائكة، والشهداء، والصالحون، ونحوهم؛ فلا يجوز دعاء أحد من هؤلاء؛ وإنما الذي يدعى هو الله وحده. الأحاديث صريحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك شيئا. في الحديث الأول: قصة أحد وصل إليه بعض المشركين فشجوه أي شجوه في وجته، جرح في وجته، وكسرت ربايته إحدى أسنانه، وهشمت البيضة على رأسه - كان على رأسه بيضة يعني: خوذة؛ وهي المغفر؛ فهشمت، وسقطت حلقة من حلقات المغفر في رأسه، واجتذبتها بعض الصحابة بأسنانه حتى نصرت ثنية من ثنياه ونزف الدم، وأحرقت فاطمة قطعة حصير وأخذت رماده وضمدته على ذلك الجرح الذي في وجهه، والذي في رأسه، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: { كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ } يعني استغرب أنهم يفلحون، ما أفلحوا، بل سلب الله تعالى عليهم، ومات منهم من مات، وعذب من عذب، وهدى الله تعالى بعضهم. ها هنا: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } الأمر ليس إليك، وإنما هو إلى الله، فلا تستغرب ذلك، فالله تعالى هو الذي يسلط من يشاء على من يشاء، فقد تسلط الكفار قديما من اليهود على أنبيائهم، وقتلوا الكثير من الأنبياء، وأحز من قتلوا يحيى بن زكريا قتل لرضا امرأة غيبى، فكيف لا يتسلطون عليك؟! ولكن العاقبة لك، ولمن يتبعك. هذا الآية: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } تبين أنه لا يجوز أن يشأل شيئا من أمر الآخرة، فلا تسأله مغفرة، ولا تسأله جنه، ولا تسأله نجاه، ولا تسأله رحمة، بل اعبدا الله تعالى، وأسأله وحده، ولا تسألو النبي صلى الله عليه وسلم، ولا غيره. يقول الحفظي وكل من دعا معه أحدا أشرك بالله ولو محمدا أما القصة الثانية: فكان المشركون بمكة قد تسلطوا على بعض المستضعفين، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو للمستضعفين في فنوته في صلاة الفجر، ويدعو على أولئك المتسلطين، فإذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ويقول: ربنا ولك الحمد يبدأ يلعن بعض أولئك الذين تسلطوا، ويدعو للمستضعفين؛ فيقول: { اللهم أيج المستضعفين من المؤمنين، اللهم أيج الوليد بن الوليد بن هشام وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة } كانوا من المستضعفين، ولم يتمكنوا من الهجرة. الوليد بن الوليد هو أخو خالد بن الوليد من قديما، ولكن أسرته ومنعوه من الهجرة، ومع أنه يتمنى ذلك، وكذلك: عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام وغيره من المستضعفين. ثم يقول: { اللهم العن فلانا وفلانا } في بعض الروايات سَمَّى بعضا من أكابرهم: الحارث بن هشام - هو أخو أبي جهل - وكان ممن اشتد هجاؤه للمسلمين، كان شاعرا، ومع ذلك يهجو المسلمين، ولكنه أسلم بعد ذلك، وحسب إسلامه، صفوان بن أمية ولد أمية بن خلف الذي كان يُعَدُّ بِلَالًا؛ لأنه كان مولاه، لما كان في وقعة بدر، وأسرته عبد الرحمن بن عوف ورأه بلال قال: أمية بن خلف !! لا نجوت إن نجا! فاستدعى بعض الأنصار فقتلوه، ولده صفوان أسلم بعد ذلك وهداه الله. سهيل بن عمرو كان نزلي بمكة وهو من أهل الطائف من ثقيف ولكنه شرف في مكة وهو الذي حصل على يديه الصلح في صلح الحديبية، ولكنه قبل ذلك كان رئيسا فيهم، وكان يُؤَلَّبُ على المسلمين، وكان ممن ألَّب عليهم يوم الأحزاب. فهؤلاء الثلاثة سُمُّوا في هذا الحديث، كلهم أسلموا هداهم الله تعالى، ودخلوا في الإسلام. سهيل كان بعد ذلك من المجاهدين بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم - في عهد أبي بكر وعمر - كان قائدا من القواد. وكذلك أبو سفيان كان أيضا يتولى القيادة، وكان يجاهد في سبيل الله، ففُتِنَتْ عينه في سبيل الله، وجاهد، ثم فُتِنَتْ عينه الثانية أيضا. دل ذلك على أن الله تعالى هداهم. وإلَّا النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، فكان يدعو عليهم، وبلغنهم؛ لأنهم كانوا قد أدوا المؤمنين، فأنزل الله تعالى عتابا له هذه الآية: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ لَطَالِمُونَ } الله تعالى هو أعلم بهم، فقد يتوب عليهم، وقد يُعَذِّبُهُمْ. فإن عَذَّبَهُمْ فإنهم طالمون، وإن تاب عليهم فإن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده إذا اتدوا. في الآية عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيها دلالة على أنه ليس له من الأمر شيء، وإذا كان ليس له من الأمر شيء، فكيف يدعى مع الله؟! وكيف يصرف له شيء من حق الله!؟